نافذة

عن الجسد وسرّ الجسد

كنت أستمع إلى أحد الأساتذة الأفاضل وهو يتحدث عن المرأة وجسد المرأة، ليدلل على مكانة المرأة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وليضع يده كما يظن بقوة على مواضع الخلل في المجتمعات الأوروبية التي لا تقدر المرأة إلا بتقدير جسدها، فالمرأة هناك حسب زعمه وادعائه تلقى الاهتمام بسبب جسدها، وكلما خفت بريق هذا الجسد ضعف الاهتمام بها، وأورد سيادته بعض المقالات التي تظهر أن المرأة الأوروبية والغربية تضرب وتغتصب على مدار الساعة، وذكر أمثلة بالدقائق والثواني! فالجسد إذا تراجع لم تعد المرأة موضع اهتمام.. أما عندنا فما شاء الله كان لا يوجد أي اهتمام بالجسد! ولا يوجد ضرب للمرأة! ولا يخفت بريق جسدها! ولا تتعرض للاغتصاب والانتهاك!

وفات الأستاذ الفاضل أن المرأة الغربية وصلت حالاتها إليه لأنها تملك حرية القول، وتقوم بفضح أحدهم إن تعرض لها بغير رضاها، أو استغل حاجاتها، وكم شغلت وسائل إعلامنا بالحوادث والقصص التي ادعت فيها امرأة على مسؤول لأنه استغل موقعه، أما ما لم يسمع به سيدنا الفقيه الأستاذ فهو الذي يتعلق بالمرأة عندنا التي لا تملك جرأة القول والفضح، وآلاف القصص لنساء اغتصبن بسبب الحاجة، وابتلعن الاغتصاب، ومسحن ذلك الفعل الشائن بالحاجات والخوف..! أليس غريباً أن يتحدث متحدث عن فضائل مجتمعاتنا، ويورد قصصاً للاغتصاب والإجهاض وما شابهه من دون أن يملك إحصاءات أو بيانات؟ أليس عيباً أن يتحدث أحدنا وهو يملك في ذاته أضعاف ما يتحدث به من عهر؟ هل صحيح أن المرأة عندنا أكثر احتراماً من الغرب؟ لا ليس صحيحاً ما يتفضل به سادتنا العلماء، فقد تكون الحياة الاجتماعية وفق منظورهم ذات سلبيات كثيرة، لكن هذا لا يعني أن المرأة لدينا تتمتع بالاحترام والتقدير! المرأة وجسدها عندنا تتعرض للانتهاك عشرات الأضعاف عن المجتمعات الغربية.

ولدينا ثقافة الانتهاك أكبر بكثير، لأنها تبقى مستوردة وغير مفتضحة نتيجة خوف المرأة.. أذكر أن د. عبد السلام العجيلي رحمه الله حدثني وكتب عن صديقه الغربي الذي كان خلافه مع زوجته، وهو غير منجب، حول نسب الولد الذي تريد أن تحمل به من صديقها، فهي تريده باسم صديقها، وهو يريد أن ينسبه لنفسه! بالطبع لا أوافق على هذا التصرف، ولكن ليس من حقي أن أتحدث عن المجتمع الأوروبي وتحلله بسبب هذه القصة، ولا أن أشيد بمجتمعنا الذي يرفض مثل هذه التصرفات الحياتية، ولكن كم من امرأة عندنا فعلتها أو فعلها صديقها من دون أن يخبر الزوج! وكم من ولد لا ينتمي إلى والده، والوالد لم يتم إخباره! بل كم من جسد امرأة انتهك، وترك الأمر للمصادفات، فلا المرأة تدري نتيجة الانتهاك في نسلها، ولا الزوج يعلم!

ليس في الوارد الدفاع عمن يريد الدفاع عن ذاك الذي يريد أن ينسب طفل زوجته من صديقها إلى ذاته، لكن أليس من الواجب احترام هذه العلاقة الواضحة الشفافة التي استنجد الزوجان بصديقهما العجيلي لحل الخلاف بينهما!

مجتمعاتنا تتحلل وتتفسخ ليس بالتأثير الغربي كما يتهيأ لنا، فالخلافات بين المجتمعات هي خلافات في التفكير عميقة، ولا يمكن أن تتغير نتيجة المؤثرات، لكن مجتمعاتنا تتفسخ نتيجة وجود مثل هؤلاء الذين يزينون الزيف، ويزينون قانورات مجتمعاتنا، ويرون أن مجتمعاتنا أرقى، ويصممون على أن المرأة وجسدها عندنا أكثر احتراماً! هل تصدقون أن المرأة أكثر احتراماً لدينا؟

هل تستطيع المرأة أن تمر إلى عملها سواء كانت محتشمة أم لم تكن بأمان في مجتمعاتنا؟

يجب ألا نغطي الشمس بغطاء، فالمرأة في المجتمعات عامة، وكل المجتمعات ذكورية تخضع لمقاييس الجسد والذكورة، لكن ما يغيب عن أذهان أساتذتنا الذين يتخموننا بالأحاديث، حتى عبر وسائل الإعلام أن المرأة في الغرب تحظى ببعض القوانين الوضعية التي تحصنها.. والتي تأتي لها بحقوقها ولو اغتصبت، ولو ضربت!

القوانين تسمح للمرأة أن تعدّ معاشرة زوجها نفسه اغتصاباً إن لم تكن راغبة! ألم يقرأ محاضرونا شيئاً عن ذلك؟!

أزعم أنهم لم يفعلوا، واكتفوا بسوق المرأة ضمن إطار شرعي إلى الحظيرة الزوجية صاغرة مذعنة، فها هم يرددون (لو أمرت المرأة أن تسجد لغير الله لأمرتها أن تسجد لزوجها) وفي هذا الحديث الكثير من الإشكالات، ليس لأنه يتعارض مع العقل، بل مع الإيمان، فلم هذا السجود للزوج؟ ألأنه يؤمن لقمة العيش؟ وماذا لو لم يؤمنها؟ ألأنه يتولى المصروف؟ وماذا لو كانت المرأة هي التي تتولى هذا المصروف وتغدق عليه؟

الأمثلة أكثر من أن تحصى ونراها أمامنا، فإن انقلب الأمر فهل يؤمر الزوج أن يسجد لزوجته؟

وماذا لو كان الزوج سيئاً بكل المقاييس الاجتماعية أو الشرعية أو الإنسانية؟ إن الأمر بحاجة إلى مراجعة وقيود، خاصة أن الاستقلالية الاقتصادية للمرأة تعطيها القرار وتجعلها أكثر قدرة على أن تكون مستقلة، وصاحبة قرار..

وعندما يقال: (من تزوج مطلقة فقد زنى) لم التركيز على المرأة؟ ولم يحملها النص الشرعي فوق ما تحتمل من طاقة؟ هل الطلاق يجعل المرأة محل شبهة؟ وهل ينهي حياتها الاجتماعية والزوجية؟ كثير من الأزواج السيئين بأخلاقهم وأجسادهم وفيزيولوجيتهم يضطرون المرأة إلى طلب الطلاق، فهل يتحول السوء الذي كان وراءه الرجل إلى وصمة للمرأة ينهي حياتها؟

يعدد السيد المتحدث الأدلة التي يبرهن بها على مكانة المرأة في مجتمعاتنا الشرقية والإسلامية تحديداً، ودون أن يأتي على أي ممارسة من الممارسات التي تجعل المرأة في أحايين كثيرة مبتذلة ومحتقرة في مجتمعاتنا!

لم يأت على ذكر أن المرأة لكونها جميلة تصبح عرضة لكل شذاذ الآفاق، وبدل أن توضع القوانين لحمايتها، فإن المجتمع يضع قوانين لتكبيلها وإخفائها! عليها هي أن تبحث عن عفة المجتمع، وإن حصل غير ذلك فهي الغواية، وهي السبب في الانحراف! كثير من الرجال الذين يؤمنون بحرية الخيار ويراقبون ما يجري على أرض الواقع تجدهم مضطرين للتضييق على المرأة التي يحبون لأنهم يدركون أن القوانين ستدين المرأة في النهاية، ولن تدين شذاذ الآفاق!

هل عرف المتحدث الجليل أنه في مجتمعاتنا- التي تفتقر إلى القوانين العمل- يتخيل المدير، وهو من هو رداءة وبشاعة وما شابه أن جميع النساء الموجودات تحت تصرفه هن دجاجاته، وعلى كل واحدة أن تطيعه، وهو يكافئها من صندوق الشركة أو المؤسسة وليس من صندوقه، ويمكن أن يضيق عليها الخناق في أسباب عملها ورزقها وحياتها حتى تنصاع له ويحقق رغباته؟ وعندما تتحقق هذه الرغبات قد يتغير السيد المسؤول فتصبح المرأة عرضة للحديث والتشهير، وأحلى شيء أن الناس، والرجال أولاً يرددونَ أن (الحرة تموت ولا تأكل بثدييها) فهي المطلوب منها أن تموت وهو القادر على القتل في كل ساعة وحين!

هذا موجود في مؤسساتنا الخاصة والعامة، وباستثناء الحالات التي تقوم فيها نوعية من النساء بالتبرع للحصول على المكاسب والمنافع، فإن الأعم الأغلب يخضع للابتزاز شديد اللهجة، وشديد الوطأة على الشرف والعمل الوظيفي، لأن مثل هذه التصرفات لا تقف عند الجسد وحده، بل تصل إلى الجسد الوظيفي الذي يتضرر من منافع الجسد الفردي واستغلاله!

الغرب الحقير المتفكك غير الأخلاقي حسب رأي المتحدث لا يحترم جسد المرأة! ولكن فيه قانون يضع في خانة الاغتصاب كل علاقة فيها ابتزاز أو ضغط العمل الوظيفي، فهل يوجد في وطننا العربي من أقصاه إلى أقصاه أي نص يشابه ويجعل المرأة العاملة قادرة على رفع دعوى على مديرها من دون أن تحصد الفضائح وتخرج كاذبة وتافهة؟

منذ أيام كنت أقف مع أحد أصدقائي، وهو من أصحاب المناصب، وتوجه بحديثه إلى أحدهم قائلاً: الحمد لله أنهم لا يعاتبون على العلاقات النسائية! ضحك الجميع، واهتزت الفكرة في رأسي، فأنا لست شيخاً، ولست ضد أي علاقة تقوم بين شخصين حباً أو شراء، ولكنني سألت نفسي: ترى لو لم يكن هذا الصديق في موقع فهل كان سيحصل على النساء بالطريقة التي يتحدث بها مفاخراً؟

هو إنسان ومن حقه أن يحب

هو إنسان ومن حقه أن يشتري الحب إن لم يجد من يحبه

لكن الشرط الأساسي الذي أفترضه ألا يكون ذلك استغلالاً لموقع أو سلطة، وأن تكون العلاقة قائمة على التراضي.

مجتمعاتنا أيها السيد، وإن كنت لا تسمعني، ولن تقرأني، بحاجة إلى قوانين دقيقة تحدد العلاقات في العمل، وأن تجعل ثقافة العمل هي الحاكمة والسائدة، وكل من يتجاوز هذه القوانين من مسؤول ومرؤوس، من رجل وامرأة، من مستغل ومستغل عرضة للمساءلة، والإعفاء مباشرة من مهامه، ومن أي مهام مستقبلية، وأن يذكر ذلك في وسائل الإعلام ليكون عبرة وعنصراً من عناصر أمان المجتمع وليس المرأة وحدها.

أظن أن مجتمعاتنا متماسكة قبلياً وطائفياً ومذهبياً، وفي شكل الأسرة، لكنها في جوهرها ليست كذلك، وفيها من العفونة أضعاف ما في المجتمعات الغربية، وذلك لغياب القوانين والأنظمة الراعية للمجتمع والمرأة.. ولا حاجة للمرأة أن تسجد لزوج ينتهكها، وربما يبيعها، ولا هو بحاجة للسجود لها.. القانون وحده هو من يحدد قيمة الجسد.. حبذا أن تصدر مثل هذه القوانين، وإن كانت موجودة، لأن كثيرين سيعترضون، أن تنشر، وأن تكون ثقافة للمجتمع، وأن يتم تفعيلها، ويكفي أن نقول: هي سيئة، هي تريد.. وبما أنه اختار السوء وإرادتها فهو شريك يجب أن يحاسب إن كان ذا مكانة..

الجسد وسره وسحره فيه الكثير من القول، لكنه القول المباح، وغير المباح أدهى وأمر.

إسماعيل مروة

زواجي مازال «مشروعاً»... وأتمنى أن يكون نصيبي من شابة سورية

فارس كرم لـ«الوطن»: سورية نقطة ضعفي ولبنان يملك نصف قلبي ولسورية النصف الآخر

فارس كرم خلال حفل معرض دمشق الدولي

... مع الزميلة سوسن صيداوي

| سوسن صيداوي
تصوير: طارق السعدوني

قامة شامخة بشموخ جبل لبنان، طلة بهية وساحرة تجذب النساء ويغار منها الرجال. يدخل القلوب لبساطة حضوره ولطيبة ودماثة خُلق تعامله. هو رجل متهم بالغرور، ومحكوم عليه بكونه رجلاً«نسونجياً»، ولأنه قريب جداً مما يستهويه الناس أو يتناولونه بالأحاديث الشاغلة لأفكارهم وحياتهم، تمكّن بأن يتربع ملكا على عرش الأغنية الشعبية اللبنانية ناشرا إياها كي تحتل الدرجة الأولى في سباق الأغاني العربية، وفي قلب الجمهور العربي بمفرداتها البسيطة. أنه الفنان فارس كرم. فعلى الرغم من أن مسيرته الفنية ليست بالطويلة، إلا أنه كسب رقما صعبا في الساحة الفنية يصعب تكراره، اختياراته لمواضيع أغانيه ذكية، فهو لا يكرر نفسه لا بشعر أو حتى بلحن. يفضّل الابتعاد عن إصدار أغنية جديدة إن لم يشعر بأنها ستفعل فعلها في إثارة الأوساط بين المؤيدة والرافضة، وفي النهاية ستحسم النتيجة لمصلحته. مؤخراً زار فارس كرم سورية بمناسبة معرض دمشق الدولي، وأحيا حفلة من حفلاته على أرض المعارض، ووسط حشد متوقع، افتتح الفنان حفله بتحية لسورية شعبا وقائدا، وتحدث معبراً عن حبه الكبير لسورية باعتباره ابنا ينتمي إليها ويغار عليها كما يغار على لبنانه. بداية صدح بصوته الجبلي العتابا والمواويل والميجنا محيّياً سورية، ومقدما باقة من أشهر أغانيه وأحبها على قلب جمهوره منها: ختيار ع العكازة، بلاحب وبلا بطيخ، نسونجي، يقبرني، وسط تفاعل كبير.

صحيفة «الوطن» كان لها معه لقاء سريع وخاطف، واستطعنا رغم العجلة وضيق الوقت أن نسأله عن بعض النقاط..

• **في البداية أهلاً وسهلاً بكم.. أنا اشتقت لسورية، سورية في قلبي، ولي نصيب أن أشارك بمعرض دمشق الدولي، وأنا سعيد جداً بهذه المناسبة، وأرجو من الله أن يحمي سورية شعباً وقائداً، وأن يدوم عز هذا البلد.**

• كانت أجواء الحفلة رائعة جداً... ولكن كيف وجدت جمهور الشباب الذي يتحدى الأزمة للسنة السابعة؟

لقد كان الجمهور رائعاً، وشعرت بسعادته وفرحه الكبيرين بالانتصارات التي تحققها سورية في هذه المرحلة، وهذا الجمهور هو أهلي، وأنا لست غريبا أبدا عن هذا الجو، فكل العالم يعرف بأن نقطة ضعفي سورية، وما أريد أن أقوله بصدق إنني من أكثر الشباب العرب المعروف بحبه وانتمائه لها، فلبنان يملك نصف قلبي ولسورية النصف الآخر.

• هل ما زال مشروع الزواج مجرد مشروع، أم هناك تطورات؟

نعم مازال مشروعاً وإن شاء الله يكن نصيبي الزواج من فتاة سورية.

• وعلى فرض التقيتها.. وعلى الرغم من أنك تملك كل شيء إلا أنها رفضتك.. ماذا تفعل؟

هذا أمر عادي، وطبيعي أن يُلاقى طلب الشاب بالرفض. هذا الأمر في نهايته محكوم بالقسمة والنصيب، فكله مقدّر ومكتوب، ونحن بالنتيجة لا نملك فيه أي خيار، وخاصة أنني حققت الكثير من أمنياتي وطموحاتي، ففي هذه الفترة أدعو ربي أن يوفقني، وكل ما أتمناه أن أكون مثل كل الناس لدي أسرة وأطفال.

• ثقتك في نفسك تجعل النظرة الموجهة إليك عند البعض بأنك رجل مغرور.. ما رأيك؟

بين الغرور والثقة بالنفس شعرة، وبالنسبة لفارس.. أنا شخص عادي ولست بغريب عن الناس، وحتى كل من يتعامل معي أو يقابلني يلاحظ بساطتي وتواضعي، وما زلت أمشي على الأرض، وأنظر دائماً إلى المرآة وأتذكر دائماً كيف كنت وكيف أصبحت، حتى إنني متمسك جداً بالماضي وفخور به، وفي كثير من المناسبات والمقابلات أذكر تفاصيل عن حياتي قبل مسيرة الفن وهي أمور يتجنبها الكثيرون لأنهم يخجلون منها.

• يقال إنك لا تقبل النقد.. هل هذا صحيح؟

الأمر الطبيعي أنني لن أتمكن يوماً من إرضاء كل الأذواق، ولكن الأمر المرفوض أن يوجه إليّ نقد ليس بناء، أو ليس بهدف أن يثير ملاحظة يمكن أن تُغنيني وتزيدني إصراراً على تقديم الأفضل، بل يكون النقد من أشخاص تريد أن تكسب شهرة على حسابي.

> الفنان الشعبي هو الأخطر لأن أغانيه تصل إلى الشارع وتستحوذ على محبة الناس

• هناك استسهال كبير للأغنية الشعبية ولأدائها وحتى في النظرة التقديرية للفنان الشعبي.. ما رأيك؟

على العكس.. برأيي الفنان الشعبي هو من أخطر الفنانين لأنه قادر بأغنياته على الوصول إلى الشارع بكل فئاته وقادر أن يستحوذ محبتهم، وهنا أحب أن أشير ليس كل فنان قادر على أداء الأغنية الشعبية فمثلا مغني الكلاسيك لا يمكنه غناء الأغنية الشعبية، في حين أنا استطعت أن أغني الكلاسيك ونجحت وأيضاً في الأغنية الشعبية، والدليل على كلامي هذا أغنية «وعدني» إنها ذات طابع رومنسي وهي بعيدة عن اللون الذي أغنيه، لكنها ناجحة ويطلبون مني غناءها في كل الحفلات.

• هل ستطيل الغياب عن سورية؟

لا سأعود قريباً وسيكون هناك حفلات عديدة وسأغني معكم فرحة النصر بعودة السلام والأمان إلى سورية الحبيبة.

الحرب الدائرة بين الإيديولوجيا والشعر

بين البورجوازية والفردية الرومنسية والالتزام.. أين الشعر؟

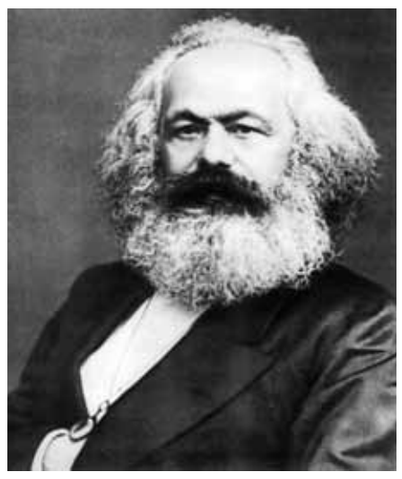

كارل ماركس

حسين مروة

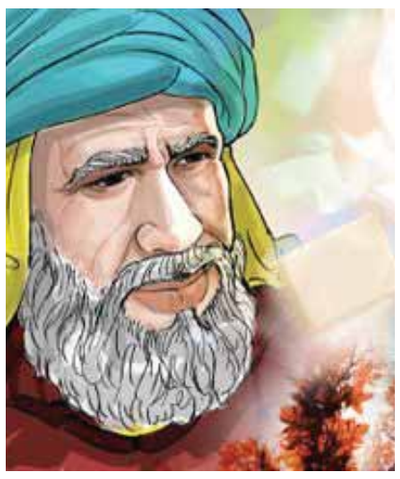

رسم تخيلي لحسان بن ثابت

عبد الوهاب البياتي

| أحمد محمد السح

تتسلل الإيديولوجيا عادة في طيات النص الشعري؛ بحيث يستطيع تأدية رسالته وملامسة المشترك الإنساني. أما إذا أطلت بشكل واضح داخل النص فإنها تعيق تحقيق هدف الشاعر في الدخول إلى دائرة التقاطعات الإنسانية الأساس؛ وتحصر إمكانية تقبّل نصه في إطار من يتفقون معه في الإيديولوجيا فقط.

ولقد ألقت الإيديولوجيا بحطامها على النقد، خاصة في زمن شيوع الواقعية الاشتراكية، فظهر النقد الإيديولوجي، وما يطلق عليه النقد الاجتماعي، ومن رواده العرب حسين مروة. حين دخل مفهوم الالتزام إلى الأدب، جر وراءه الإيديولوجيا، وانعكس ذلك على النقد الذي راح يبحث في النص الشعري عن مدى تمثيله لمجتمع الشاعر عامة ولطبقته خاصة، كما اهتم بدراسة الشعر من زاوية تجسيده للصراع الطبقي ومدى تأثيره الإيجابي فيه. وازداد تأكيد قضية «الموقف» وهو أن يكون للأديب موقف يتجلى في نصه. هذا الموقف الذي شذبته الحداثة، وتحول مع التنظير النقدي لقصيدة النثر إلى ما يسمى «الرؤيا». وفي هذا السياق يمكن تأمل الفروق في مفهوم «الرؤيا» بين أدونيس وأنسي الحاج من جهة، وبين عبدالوهاب البياتي وأحمد عبدالمعطي حجازي من جهة أخرى.

الأدب هو موقف الأديب من المجتمع

ومن ضمن النظريات الأدبية المختلفة التي سايرت التاريخ العام للأدب، نجد أن الأدب الكلاسيكي قد حاكى الإيديولوجيا الإقطاعية ببعدها البرجوازي، على حين حررت الثورة الفرنسية الإنسان من العبودية فتغنى الأدب بالذات الفردية بنزعة رومانسية، أما أتباع ماركس من الأدباء، فأبدعوا أدبا يتماشى والنظرية الاجتماعية الماركسية فيما يعرف بأدب التصوير والالتزام، وآمن دعاة الخلق الفني بالأدب كياناً قائماً بنفسه، خالياً من أي إيديولوجيا، فنادوا بالفن للفن، وهم بهروبهم من النظريات قد سقطوا فيها، فحتى الفن للفن إيديولوجيا تستمد فلسفتها من الفلسفة الوجودية تارة والشكلانية الروسية تارة أخرى، حيث جعلت من الأدب كياناً لغوياً فقط، الإيديولوجيا إذاً، مجموعة من المواقف المحددة المتسقة، والأدب من ناحية ثانية هو التعبير بالكلمة عن موقف الأديب من المجتمع أو من الحياة أو ممن حوله.

الشعرية المؤدلجة إسلامياً

يرجح تاريخياً أيضاً أن خفوت شعرية حسان بعد الإسلام يستدعينا إلى قراءة ما يسمى اليوم «الأدب الإسلامي»، فإذا كانت الحقبة الزمنية الفاصلة بيننا وبين حسان بن ثابت قد مدت بيننا ضباباً يحول دون وضوح الرؤية، فإن الأدب الإسلامي اليوم هو الوليد الشرعي لتلك الحقبة الإسلامية الأولى. الأدب الإسلامي «بصفة عامة» هو أدب قائم على «رسالة واضحة»، هذه الرسالة قد تشمل جميع جوانب الحياة، فهي أحياناً تكون اجتماعية وأحياناً عقائدية وأحياناً تربوية تهذيبية، بمعنى أنه أدب مخصص للدفاع عن العقيدة- الإيديولوجيا بكامل أبعادها الحياتية، ولعل ذاك التوجه «الإرشادي» أو «النصحي» الذي يبدو جلياً في الأدب الإسلامي هو ما جعل النقاد يرددون أن الأدب الإسلامي لا يلامس جوهر الشعر، باعتبار أن الأدب الإسلامي الموجود بين أيدينا اليوم هو أدب قائم في أغلبيته على الخطابية والمباشرة التي لا تتلاءم مع الشعر.

إن القصيدة بوصفها عملاً فنياً من حيث تكامل عناصرها الفنية تحقق نجاحها من خلال التداخل بين عنصري الفن والمضمون وليس هناك قيمة حقيقية لعمل فني لا تتمثل فيه علاقة التأثير المتبادل بين هذين العنصرين، ومن ثم يكشف النقد السليم عن خطأ في تمثل طبيعة العمل الفني إذا أقيم الشعر على أساس إيديولوجي صرف كما يكشف عن خطأ أيضاً إذا أقيم الشعر على عنصر جمالي صرف، فالموقف الإيديولوجي وحده لا يصنع العمل الفني وكذلك يفقد العمل الفني وزنه حينما يخلو من موقف. إن بين هذين العنصرين تداخلاً، فهما في الوقت الذي يصنعان فيه بنية فنية موحدة إذا بأحدها ينعكس على الآخر فيتأثر به. ولا شك أن ثقافة الشاعر ومعرفته ضروريتان في رسم خطوط هذا التداخل بين العنصرين فمن شأنهما أن تساعدا على بلورة الموقف والفن في القصيدة.

أليس من العسف الربط بين شعر مشغول بهَمٍّ محدّد والإيديولوجيا؟

يبدو الأقرب إلى هذا التوجه تحليلات حنا أرندت القائلة إن الإيديولوجيا هي عموماً رديف للظاهرة الشمولية وإنها تشكل نسقا تأويلياً نهائياً للعالم وهي تدّعي انطواء العلم كله بين جناحيها وأنها على دراية كلية بماضي العالم ومستقبله (وهذا ما كان ماركس في الحقيقة يقف ضده تماماً). مَنْ من الشعراء العرب يمكن أن يزعم امتلاكه نسقاً تأويلياً نهائياً للعالم ومعرفة كاملة بماضي العالم ومستقبله لينطبق عليه قناع الإيديولوجيا البشع؟. لو أننا فتشنا ملياً في الشعر العربي لوجدنا أن أحد أهم رموز الشعر العربي المعاصر هو من زعم دوماً امتلاك هذه الرؤية، هذه الإيديولوجيا، وهو لا يوضع في إطار توصيف «الإيديولوجيا»، لسبب يفوت على النقد العربي، وعليه ألا يفوتنا. من وُصِفَ بذاك التوصيف بالأحرى هم الشعراء المهمومون بمشكل إنساني ووجودي ما.

أليس من العسف الربط بين شعر مشغول بهَمٍّ محدّد والإيديولوجيا؟. نحن هنا أمام منطق (تلفيقي)، لأنه يُلزِم الفعل الإنساني والوجودي والفكريّ إلزاماً الدخولَ في حقل افتراضي: الإيديولوجيا مُسْبَقة الصنع. هكذا استخدم المصطلح في الحقيقة خلال السنوات الأخيرة. تلفيقي أيضاً لأن فعلاً إنسانياً مشدوداً لنسغ فكر ما لم يُنتج بالضرورة شعراً باهتاً مثقلاً بالإيديولوجيا الكريهة هذه. إن الانشداد إلى نبض الواقع وحركة الأشياء وحتى إلى السياسة بمعناها اليوناني، من جهة أخرى، ليس رديفا للإيديولوجيا. لو أن العالم الخارجي وحده من يتحكم بالمنجزات الجمالية والشعريات، لوجب نفي أدباء ومفكرين وشعراء من تاريخ الأدب لأنهم ظهروا في فترات مُلتبسَة، بل منحطة كما قد يُقال، والمتنبي على رأسهم مادام قد أبدع في فترة «انحطاط سياسي» من النمط الذي يصفه الواصفون، بل عمل في بلاطات الأمراء والحكام وكان له «طموحٌ سياسيّ» لم يفتأ يلعب أحابيل السياسة من أجله. هذا الدرس التاريخي لن يقنع النقد المحلي لأنه مهموم بأمر آخر، ولأنه يستثمر الفشل الذريع الذي أوصلت إليه السياسة منذ سنوات السبعينيات في العالم العربي، بما في ذلك في الحقلان الأدبي والشعري، والمرارة التي تركتها فاعلة في ثلوب المتابعين الباحثين.